يسوع والهيكل بين السرد اللوقاويّ والتاريخ

دور الهيكل في الرواية اللوقاويّة وأساسها التاريخيّ

د. دانيال عيوش

جامعة البلمند

مقدّمة

يبدأ الإنجيل الثالث سردَه في هيكل أورشليم ويُنهيه هناك. هذا ليس بصدفة كما أشار إليه بعض الدراسات الحديثة.[١] إنّ صورة يسوع في هذا الإنجيل لا تكتمل إلا بالكلام عن علاقته بهذه المؤسّسة المركزية في الديانة اليهوديّة القديمة التي كانت قد دُمّرت قبل تدوين لوقا إنجيله. لذلك يجدر البحث عن الجذور التاريخيّة لهذه الناحية المميزة من حياة يسوع الناصريّ وعن طريقة عرض لوقا لموقف يسوع المعارِض والمناقِض للرأي اليهوديّ الرسميّ.

لمعالجة هذه المسائل سيتطرق القسم الأوّل من هذه الدراسة إلى دور الهيكل في السرد اللوقاويّ وفي علاقته بيسوع. بدلاً من التحليل الدقيق والمستَنْفِد لأعمال يسوع وأقواله حول الهيكل، يقدّم هذا البحث رسمًا للاستراتيجيّة السرديّة ومعناها المحوريّ في الإنجيل. بكلام أكثر تِقنيةً سندرس استخدام لوقا للمكان من أجل بناء البنية الروائيّة الكبرى (macronarrative). هذا لأنّ الكاتب يميّز بين وجود يسوع ''في الجليل'' ووجوده ''على الطريق'' أو ''في أورشليم.'' فكل مكان يفرض تصرفًا ومواقف مختلفة كما أشار إليه العالِم Aletti في وصفه لديناميّة السرد اللوقاويّ.[٢] أما فيما يخص بمحاكمة يسوع وأسبابها ونتائجها، فلن أتعمق فيها إلا بمقدار ما تساهم دراستها في تحليل السرد اللوقاويّ الطويل أو في فهم الأحداث التاريخيّة حول الهيكل. هذا القسم من المقالة يقارب إنجيل لوقا كأحد أبرز المصادر المسيحيّة التي يعتمد عليها دارسو ''البحث الثالث ''.

---

[١] راجع مثلا:

LOENING, K., *Das Geschichtswerk des Lukas*. Band I: Israels Hoffnung und Gottes Geheimnisse (Urban Taschenbücher 455), Stuttgart et. all.: Kohlhammer 1997, 69; GANSER-KERPERIN, H., *Das Zeugnis des Tempels.* Studien zur Bedeutung des Tempelmotivs im lukanischen Doppelwerk (Neutestamentliche Abhandlungen N.F. 36), Münster: Aschendorff 2000; MEIER, J.P., *A Marginal Jew*. Rethinking the Historical Jesus. Vol. 2 Mentor, Message, and Miracles (ABRL) New York et all.: Doubleday, 1994, 184 note 9.

[2] ALETTI, J.N., *El arte de contar a Jesucristo*. Lectura narrativa del Evangelio de Lucas (B.E.B. 77), Salamanca: Sígueme, 1992, 79-81.

أمّا في القسم الثاني، فسندرس علاقة يسوع بالهيكل حسب ما يفهمها المؤرخون المختصّون بمسألة يسوع التاريخيّ. لذلك نعتمد على المناهج المتعدّدة الاختصاصات التي يطبقها ''البحث الثالث'' والتي تعود إلى حقول مختلفة كعلم الآثار وعلم الاجتماع ونقد الأدب المنحول والتاريخ اليونانيّ الرومانيّ القديم والأنثروبولوجيا الثقافيّة. بفضل هذه الدراسات سنكتشف أنّ المعلومات المتوفرة حول يسوع لا تقل من أهمّيّة ولا من مصدقيّة إذا ما قارناها مع التي تتوفر حول أبرز شخصيات العالم القديم[٣]. موضوع واحد يشغلنا بشكل خاصّ ألا وهو الدور الدينيّ والاجتماعيّ الذي كان يلعبه الهيكل في أيّام يسوع. من ثَمَّ نسأل عن الخلفية التاريخيّة للأحداث المسرودة في الإنجيل وعن طبيعة التهديد الذي رآه يسوع ينبع من الهيكل والذي دفعه إلى انتقاد هذه المؤسسة ومناقضتها.

١. البحث اللغويّ عن يسوع والهيكل في السرد اللوقاويّ

لا يقتصر إنجيل الطفولة في لوقا (لو ١-٢) على خبر الحبل بيسوع وطفولته فحسب، بل يسرد أيضًا طفولة المعمدان وهذا بواسطة أسلوب أدبيّ معروف في العالم القديم والمسمّى بالموازاة.[٤] هكذا تتوالى عند لوقا بشارة زكريا مع بشارة مريم، ثم مولدُ يوحنّا مع مولد يسوع، ثم ختانة يوحنّا مع ختانة يسوع وتقديمه إلى الهيكل، فينتهي كلّ هذا بخبر عن يسوع وهو في سنّ الثانية عشر يتحدّث إلى معلمي الناموس في هيكل أورشليم.

إذا ألقينا النظر على أخبار الطفولة نجد أنّ بعد مطلع الكتاب (لو ١:١-٤) المشهدَ الأوّل للسرد اللوقاويّ، أعني به مشهد بشارة زكريا بمولد يوحنّا المعمدان، يقع تمامًا في هيكل أورشليم (لو ١:٥-٢٥). يتمّ بدء عمل الله الأخروي بإعلانه لكاهن يهوديّ في هيكل أورشليم.[٥] هذا يعني أنّ لوقا يقدّم الهيكل في بداية سرده كالمكان التقليديّ للإعلان حيث، بحسب الديانة اليهوديّة، كان ينبغي أن يرسل الله خبره. ولكن الكاهن المتلقّي لم يتجاوب وأظهر قلة ثقة وإيمان للخبر الذي أعلن بدء الأزمنة

---

[3] Cf. THEISSEN, G. / A. MERZ, *The Historical Jesus*. A Comprehensive Guide London: SCM Press, 1998, p. 93-94.

[٤] يقول PERROT, C.; *Les récits de l'enfance de Jésus* (CE 18), Paris: Cerf, 1976, 37 إنّ الموازاة "شكل أدبيّ معروف جيدًا في العالم الهلّيني المعاصر له" (أي المعاصر للوقا). فقد كان بلوطارخوس وكتّاب آخرون يستعملون هذه الطريقة لكتابة سير أناسٍ مرموقين. والقصص المتعلّقة بالمعلّمين هيلليل وشماعي تشكّل مثلاً على استعمال الموازاة في الأدبّ اليهوديّ الربانيّ.

[٥] تتفق هذه البداية كل الاتفاق مع الرجاء الأخرويّ السائد في الفكر اليهودي آنذاك بأنّ الله سيدعو شعبه من أورشليم. راجع: MEIER, J.P., *Jew II*, 251.

الأخيرة والذي كان اليهود ينتظرونه بإلحاح (لو ١:١٣-١٧). لذا قال له رئيس الملائكة جبرائيل: ''وها أنت تكون صامتًا ولا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا لانك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته'' (١:٢٠). وكان هذا يحدث عندما ''كان كل جمهور الشعب يصلّون خارجا وقت البخور'' (١:١٠). فورَ خروج زكريا من القدس لم يتمكن من إعطاء البركة المحدّدة لهذه اللحظة[٦] بسبب صمته (١:٢٢). فانتظار الشعب وكشف الإعلان وصمت الكاهن وتعطّل البركة، هذه كلّها تتم في الهيكل (آ ٢١-٢٢ ἐν τῷ ναῷ) وتشكل بداية رائعة للسرد اللوقاويّ.

بالرغم من ترتيبات الناموس للكهنوت بالوراثة،[٧] لا نقرأ أنّ يوحنّا المعمدان خدم في الهيكل. لا بل بالعكس، كان يوحنّا ''في البراري إلى يوم ظهوره لاسرائيل'' (لو ١:٨٠). هكذا نجد في كافة العمل اللوقاويّ تضادًّا بين الهيكل والبرّيّة، بين طقوس العبادة والاعتلان الإلهيّ بعيدًا عن الحضارة وفي الطبيعة كما هي.[٨] ونجد أن تغيير الأمكنة في الفصلين ١-٢ يرسم حركةً معاكسةً بين الصبي يسوع والصبي يوحنّا. فيسوع يولد في قرية رعاة في اليهوديّة وينمو في قرية فلاحين في الجليل. لم تُعلن ولادته لكاهن في الهيكل بل لامرأة بسيطة في بيت متواضع في الناصرة. مع ذلك، تتوقف نهاية خبره في الهيكل عند محاولته للتمركز ''فيما لأبي'' كما يقول يسوع في ٢:٤٩ (ἐν τοῖς τοῦ πατρός μου).[٩] إذن، يسوع يطلب منذ طفولته أن يتأسّس في الهيكل لأنّه يعتبره بيته والمكان الطبيعيّ لعمله.

---

[٦] حسب عد ٦:٢٤-٢٦ والمشناه (Tam. 7:2). راجع أيضًا:

FITZMYER, J.A., *El Evangelio según Lucas II*. Traducción y Comentario Capítulos 1-8:21, Madrid: Cristiandad, 1986, 86; BOVON, F., *L'Évangile selon Saint Luc 1,1 – 9,50* (CNT IIIa), Genève: Labor et Fides, 1991, 61.

[7] FITZMYER, *Evangelio II*, 191; SANDERS, E.P., *Judaism: Practice and Belief*. 63 BCE – 66 CE, London: SCM Press, 1994, 53.

[٨] يأتي الكلام عن الاعلان في البرية مرات عديدة في العهد القديم ولا يغيب عن صفحات العهد الجديد. راجع مثلاً أع ٧:٣٠و٤٤؛ ١٨:١٣. راجع أيضًا RADL, W. "ἔρημος", in: *DENT I*, 1576-78؛ عيوش، دانيال، ''في البرية يخلق الانسان الجديد"، في: *الأنطونية* ٣ (٢٠٠٢)، ١٧٨-١٧٩. يضيف لوقا التضادّ بين الهيكل والبرية لكي يدلّ إلى بداية جديدة للشعب الذي لم يعد يتكوّن في المدينة بل في البراري المحيطة بالمدينة. مع أنّ لوقا يربط فكرة الأرواح النجسة بالبرية (لو ٤:١-١٣؛ ٨:٩؛ ١١:٢٤) لا يكون هذا البعد الدلاليّ الذي يركّز عليه عند مقارنته مع الهيكل. بخصوص ميزة مفهوم البرية في لوقا راجع أيضًا:

MAHFOUZ, H., *La Fonction littéraire et théologique de Lc 3,1-20 dans Luc-Actes*, Kaslik: CEDLUSEK, 2003, 61-62 .

[٩] هذه العبارة تشير بوضوح إلى قول يسوع الوارد لاحقًا في لو ١٩:٤٥ ''بيتي بيت الصلاة'' (ἔσται ὁ οἶκός μου οἶκος προσευχῆς) الذي يعتمد على استشهاد من أش ٥٦:٧.

ولكن لم يُسمح له هذا فعاد مع أهله اللذان ''لم يفهما الكلام الذي قاله لهما'' (٢:٥٠). فكان يسوع الصبي هذا ''خاضعًا لهما'' (٢:٥١) وينتظر ظهوره للشعب.

بعد أخبار الطفولة نتوقف الآن عند لو ٤:١-١٣ أي عند خبر يسوع في البرّيّة حيث لوقا يذكر التجارب نفسها التي ذكرها متى ولكن بغير ترتيب، بحيث أنّ النصّ اللوقاويّ يعطي للتجربة ''على جناح الهيكل'' (لو ٤:٩-١٢ ἐπὶ τὸ πτερύγιον τοῦ ἱερου) المرتبة الثالثة والأخيرة مشدّدًا على أهمّيّتها وصعوبتها. بهذه الطريقة يشير لوقا دون شك إلى المحنة الكبرى التي سيخضع لها يسوع في أورشليم وقت آلامه[١٠].

وإذا تقدمنا في قراءة الإنجيل نعثر على العبارة ''وحين تمت الأيّام لارتفاعه ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم'' (لو ٩:٥١) التي تأتي كعامل حاسم ومقرّر في الرواية لأنّها تشكّل نقطة التحوّل (*turning point*) في السرد بين عمل يسوع في الجليل وبين صعوده إلى أورشليم الذي يستمرّ إلى دخوله الانتصاريّ إلى أورشليم والهيكل. فابتداءً من ٩:٥١ تصبح أورشليم وهيكلها المقصد الأخير لرسالة يسوع والطريق إليها، التي في الواقع لا تستغرق أكثر من أربعة أيّام على الأقدام، تصير المكان الطبيعيّ لحياة يسوع وأعماله خلال ١٠ فصول، لا بل هذا القسم من الإنجيل يرسم حياة المؤمن مع المسيح في صورة المسيرة (περιπατέω) والذهاب معه (πορεύομαι) إلى خروجه في أورشليم بمعناه الكتابيّ لكلمة ''خروج'' (لو ٩:٣١ ἔξοδος). خلال هذه المسيرة يذكّر لوقا قرّاءه إمّا أنّهم على الطريق نحو أورشليم،[١١] إما أن يسوع ورفقاؤه يتقدمون في سفرهم دون ذكر الاتجاه لأنّه يُفهَم ضمنًا[١٢].

في لو ١٩:٤٧-٤٨ نقرأ ملاحظة روائية لغاية الأهمّيّة: ''كان (يسوع) يعلّم كلّ يوم في الهيكل'' وأنّ ''الشعب كلّه كان متعلقًا به يسمع منه.'' ما يروي لوقا هنا هو عملية فتح الهيكل بالاعتماد على مر ١١:١٥-١٩ مع التشديد على الفعل ''كان يعلّم'' بشكل شبه جملة (periphrasis) وعلى العبارة ''كلّ يوم'' اللذين استوحاهما لوقا من قول يسوع في مر ١٤:٤٩. إليها يضيف لوقا أيضًا المصطلح التقنيّ ''شعب'' (λαὸς) في الآية ٤٨.[١٣] يسبق هذه المقدّمة إلى أعمال يسوع التبشيريّة في الهيكل

[10] BOVON, F., *Évangile I*, 197; MEIER, J.P., *Jew II*, 184.

[١١] لو ٩: ٥٣؛ ١٣: ٢٢. ٣٣-٣٤؛ ١٧: ١١؛ ١٨: ٣١؛ ١٩: ١١؛ ١٩: ٢٨؛ ١٩: ٤١.

[١٢] لو ٩:٥٧؛ ١٠:٤؛ ١٨:٣٥، ١٩:١؛ ١٩:٣٦.

[١٣] للمزيد من التفاصيل راجع:

المشهد المعروف بطرد الباعة (لو ١٩:٤٥-٤٦) الذي يأخذ في إنجيل لوقا طابعًا ثانويًا ولا يكون السبب الرئيسيّ لرفض يسوع من قبل القادة الدينيّة في أورشليم. هؤلاء يعارضون يسوع لأنّه قرّر أن يجعل من الهيكل منبرَ تعليمه كلّ يوم. لذلك أيضًا يشدد لوقا أكثر من أي إنجيليّ آخر على أخبار تعليم يسوع ''في الهيكل'' بتفاصيله وذلك في لو ١٩:٤٧-٢١:٣٨ حيث ينهي قائلاً:

''وكان في النهار يعلّم في الهيكل (ἐν τῷ ἱερῷ) وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذي يدعى جبل الزيتون. وكان كل الشعب يبكرون إليه في الهيكل (τῷ ἱερῷ ἐν) ليسمعوه ''.

كان الشهود لهذا العمل، من جهة، ''الشعب كلّه'' الذي يلعب دور المستمع والمتلقّي[١٤]. وإلى جانب الشعب كان سلطات الهيكل والمدينة يشهدون لتعليمه وهم: ''رؤساء الكهنة ''[١٥]، ''الكتبة ''[١٦]، ''الشيوخ'' (٢٠:١)، ''وجوه الشعب'' (١٩:٤٧) و''الصدوقيّون'' (٢٠:٢٧). هؤلاء المسؤولون هم الذين يطلبون أن يهلكوه (لو ١٩:٤٧-٤٨؛ ٢٢:٢). وغياب فئة الفريسيّين عن هذا القسم من السرد الروائيّ يبرز بقوة ويسلط الضوء على درجة العداوة القائمة بين السلطة في أورشليم ويسوع.

بعد الآلام والقيامة يلقي يسوع خطابًا مختصرًا يتعهّد فيه أن يُرسل ''موعد أبي'' ويأمر التلامذة أن يبقوا ''في مدينة أورشليم'' إلى ذاك الحين (لو ٢٤:٤٩). مجدَّدًا سيكون الهيكل المكان حيث يتلقّون البركة والوعد. أخيرًا يختم الإنجيل ببركة يسوع القائم، تلك البركة التي توقفت في لو ١:٢٢ والتي تُعطى الآن لجماعة الشعب المؤمن المصلّي بفرح في الهيكل (καὶ ἦσαν διὰ παντὸς ἐν τῷ ἱερῷ) لو ٢٤:٥٠-٥٣).

إنّ حركة الأماكن في السرد اللوقاويّ تبرز ببساطتها ورسوخها. أمّا في الإنجيل فهناك مرحلة في الجليل (لو ٤:١- ٩:٥٠)، ثم مرحلة على الطريق إلى أورشليم (لو ٩:٥١-١٩:٤٩) وأخيرًا مرحلة

HOWARD MARSHAL, I., *The Gospel of Luke*. A Commentary on the Greek Text (NIGTC 3), Grand Rapids: Eerdmans, 1979, 721-22.

[١٤] راجع لو ١٩:٤٨؛ ٢٠:٤٥؛ ٢١:٣٨؛ في ٢٠:٩ ترد كلمة ''شعب'' لوحدها.

[١٥] راجع لو ١٩:٤٧؛ ٢٠:١؛ ٢٠:١٩.

[١٦] راجع لو ١٩:٤٧؛ ٢٠:١؛ ٢٠:١٩.

في الهيكل وأورشليم (لو ٢٠:١-٢٤:٥٣). يتبع هذا التقسيم مؤشّرات الأماكن الواردة في الرواية والتي ترسم بدقة هذه الحركة التصاعديّة إلى أورشليم. أمّا في سفر أعمال الرسل، فيسوع نفسه يرسم حركة الأماكن فيما يخص العمل التبشيريّ كما يقول في نهاية الإنجيل (٢٤:٤٧): ''وأن يُكرَز لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم'' أو كما يرد في بداية أعمال الرسل (١:٨): ''وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصى الأرض.'' هكذا نجد مرحلة تتمّ في أورشليم (أع ١:١-٨:٤)، ثم مرحلة تجري على الطرق النازلة من أورشليم كطريق السامرة وطريق دمشق أو طريقي قيصرية البحريّة وأنطاكيّة (أع ٨:٥-١٢:٢٥) وأخيرًا تأتي مرحلة التبشير في كلّ المسكونة وصولاً إلى عاصمتها روما بيد بولس المقيَّدة (١٣:١-٢٨:٣١). يرسم الجدول الآتي أدناه هذه الحركة في المجلدين اللوقاويّين:

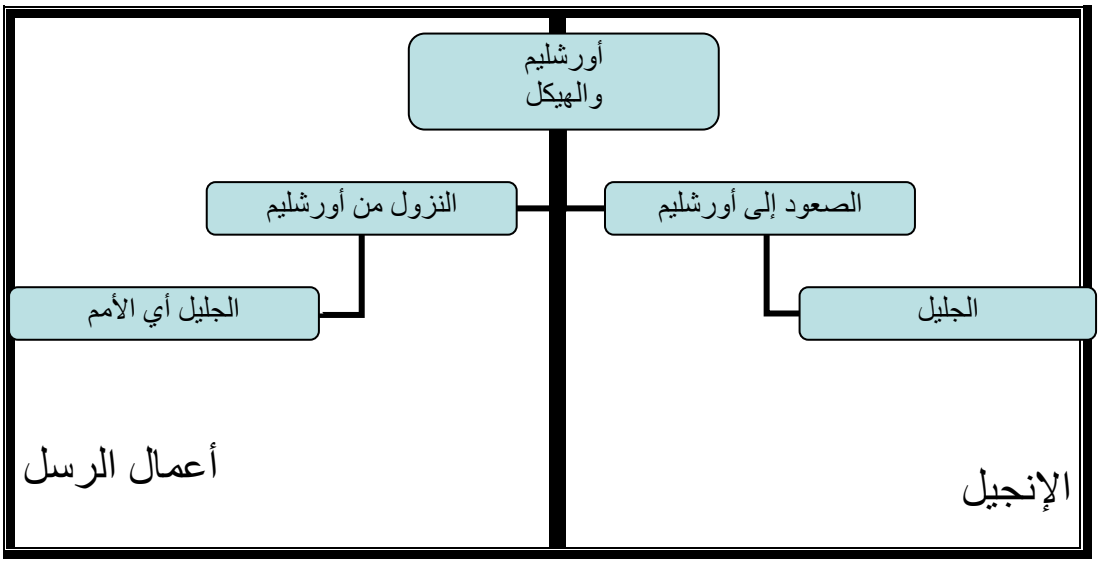

ما يجدر ذكره هو أنّ حركة العودة إلى أورشليم التي تتكرر في القسم الأخير من سفر الأعمال تؤكد المعنى الأخروي لقبول الأمم الأخبار الخلاصيّة الناجمة من أورشليم. وبين أحداث السرد في سفر أعمال الرسل يتميز حدث مهمّ جدًّا ألا وهو إغلاق أبواب الهيكل أمام بولس الرسول في أع ٢١:٣٠: ''فهاجت المدينة كلّها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارجَ الهيكل (ἔξω τοῦ ἱεροῦ) وللوقت أُغلقت الأبواب ''. بعد هذا الحدث الحاسم لم يعد للهيكل أي دور في الرواية وبعد تسليم بولس للسلطة الرومانيّة تخسر أورشليم دورها المركزيّ و لم يعد يذكرها الراوي بعد.

باختصار: يسوع عاش بعيدًا عن أورشليم. أثناء طفولته زار يسوع الهيكل مرتين وكان تتويجَ أعماله الاعلانيّة تبشيرُه في الهيكل إلى يوم اعتقاله ومحاكمته وصلبه. بعد القيامة انتظر التلاميذ تحقيق الوعد في الهيكل. هذه الأخبار ترسم الخطوط العريضة لعلاقة يسوع بالهيكل حسب إنجيل لوقا. ما هي العناصر التاريخيّة لهذه المعلومات؟ وما هي الخلفية الاجتماعيّة الدينيّة التي بنى لوقا عليها سرده الروائيّ؟ هذا ما سندرسه في القسم الثاني من هذا البحث.

٢. يسوع والهيكل في البحث التاريخيّ

٢. ١. لمحة اجتماعيّة ودينيّة لمكانة الهيكل في أيّام يسوع

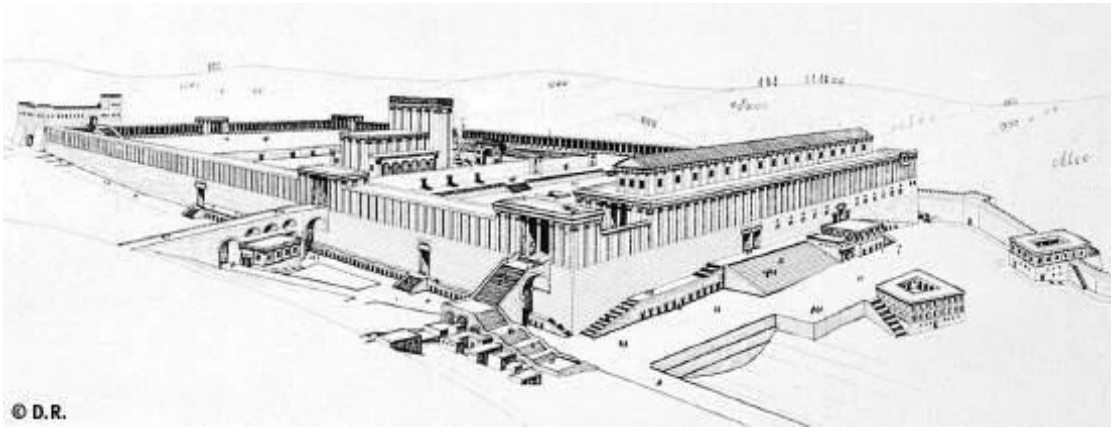

الصورة ١: تصميم الهيكل الثاني بحسب العالم في الآثار لين ريتماير (Leen Ritmeyer)

كان الهيكل في أيّام يسوع قاعدة السلطة الاجتماعيّة لليهود وأبرز معالمهم الدينيّة. حسب ساندرس (E.P. Sanders) كانت الديانة اليهوديّة الشائعة (Common Judaism) في فلسطين والشتات تعترف بثلاث منارات دينيّة: الهيكل، المجمع (الكنيس) والبيت. ولكن بينها كان للهيكل المكان الأبرز والأكثر امتيازًا بسبب دوره كمركز دينيّ يجتذب إليه الحجاج في الأعياد على مدار السنة ويجمع فيه مساهمات الشعب اليهوديّ من كلّ العالم بواسطة نظام ضرائب خاصّ يؤمّن استمرارية أعمال المؤسسة.[١٧] لرسم صورةٍ عن نظرة اليهود إلى الهيكل كثيرًا ما يُذكَر الذي دوّنه فلافيوس يوسيفوس في كتابه ''ضد أبيون'':

''تدعونا الشريعة إلى اعتبار الله سيدَ الكون وتكلّف الكهنة خدمة الشؤون الأساسيّة. فوق ذلك يجب على رئيس الكهنة أن يحكم على الكهنة ... هناك هيكل واحد لإله واحد ... الهيكل هو لكلّ البشر

[17] SANDERS, E.P., *Judaism*, 47-49.

كما أنّ الله هو لكل البشر ... على رئيس الكهنة أن يقدّم ذبائح لله مع كهنته وعليه أن يسهر على حفظ الناموس وأن يجزم المناظرات وأن يعاقب الأشرار..."[١٨]

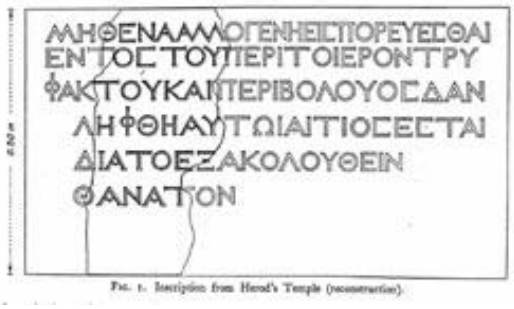

صورة ٢: كتابة منحوتة تمنع دخول الأمم إلي الهيكل

آنذاك كانت تدير الهيكل سلالة من الكهنة اليهود وكان حِفظ الذبائح اليومية والاحتفاليّة أساس أعمالهم الرسميّة. كان لمعظم طقوس العبادة دورُ الحفاظ على طهارة الهيكل والشعب الآتي إليه لأنّهم كانوا يؤمنون بحضور الله غير المنظور في قدس الأقداس (رج مثلا مت ٢٣:٢١).[١٩] يبدو أن منع الوثنيّين من الدخول إلى الهيكل كان مرتبطًا بمبدأ الطهارة، إذ أنّ الفئات الكهنوتيّة الصدوقيّة قرّرت معاملة الوثنيّ كمعاملة الأشخاص النجسين ولذلك اعتمدوا منعهم الدخول ابتداءً من القرن الثاني ق.م.[٢٠] حسب عالم الآثار رايخ (R. Reich) في أيّام يسوع كان الاهتمام بالطهارة كان قد تصاعد إلى درجة التطرّف والهوس. لذلك نجد عددًا كبيرًا من أحواض مخصّصة للتطهير في أورشليم وخصوصًا بقرب من الهيكل وقد خدمت لتطهير الجسد والنفس وحتى الأدوات المنزليّة إذا تعرضت للنجاسة.[٢١] يجدر هنا ذكر شهادة فلافيوس يوسيفوس التي تتطرق هذه المرة إلى أهمّيّة الطهارة من أجل اتمام الطقوس في الهيكل:

"حدّدت الشريعة طرق مختلفة للتطهير من أجل تقدمة الذبائح، كيف نتطهر بعد دفن وبعد ما يحصل على السرير أحيانًا وبعد مصاحبة نساءنا، كما في مناسبات أخرى عديدة، قد يطول تدوينها الآن."[٢٢]

علاوة على ذلك، كانت للهيكل ثروة مهمة،[٢٣] إذ كان اليهود القاطنون في فلسطين والمشتتون في كل المسكونة يساهمون في خزائن الهيكل بواسطة نظام مخصّص لجباية الضرائب. وكان يهود فلسطين

---

[18] Translated from English from Flavius Josephus, *Against Apion II.22.24*, translated by W. WHISTON, http://www.ccel.org/j/josephus/JOSEPHUS.HTM on 09.01.05.

[19] SANDERS, E.P. *Judaism 70-71.*

[20] SANDERS, E.P., *Judaism*, 72-76.

[21] "The Mission" in: *Jesus: the Complete Story*. Dir. Jean-Claude BRAGARD, a BBC Discovery Channel Co-production in association with Jerusalem Productions and France 3, 2001, DVD, chap. 3 min. 19; SANDERS, E.P., *Judaism*, 237.

[22] Flavius Josephus, *Against Apion II.24*, translated by W. Whiston, http://www.ccel.org/j/josephus/JOSEPHUS.HTM on 09.01.05. Italics by the author.

يدفعون أيضًا العشر والتقديمات للبواكير ولفاتح الرحم وغيرها من التقديمات.[٢٤] لذلك صار كنز الهيكل مرغوبًا جدًّا من قبل الحكّام الأجانب ومعرّضًا للسلب والنهب مرّاتٍ عديدة. بلا ريب كان الهيكل آنذاك يرمز إلى اليهوديّة الرسميّة بوجهها السلطويّ في الدين والسياسة والاقتصاد. بكلام آخر، كان الهيكل ملتقى الـــ Establishment اليهوديّ.

أمّا بخصوص هويّة الأشخاص المتولّين السلطة، فيمكننا القول أنّ رئيس الكهنة والعائلات الكهنوتيّة القريبة منه كانوا يتمتّعون بالرفاهيّة والترف في حياتهم. هذا ما تدلّ عليه، على سبيل المثال، آثار البيت المحفوظة في متحف الحيّ الهيرودسيّ في القدس القديمة التي عثروا عليها في آواخر الستينات. في داخل البيت وُجدت فسيفساء أرضيّة وجداريات ملوّنة وعواميد منحوتة وأغراض أخرى عديدة تشهد للحياة الفاخرة التي تمتّع بها سكانُه، الذين كانوا، على الأرجح، عائلة كهنوتيّة مميّزة جدًا. هنا أيضًا يجدر ذكر قوس ويلسُن (Wilson's Arch) كمثل جليّ للامتياز الدينيّ الخاصّ بالطبقة الكهنوتيّة، إذ أنّ علماء الآثار يرشّحون أنّ هذا القوس كان يحمل جسرًا يسمح للكهنة الدخول إلى الهيكل دون الاختلاط مع الشعب الذي كان بدوره يمرّ تحت هذا الجسر في طريقه إلى المدخل العامّ للهيكل.[٢٥] إلى جاب ذلك تُذكر أيضًا الشهادات الواردة في المشناه وعند فلافيوس يوسيفوس (**الحروب** ٥:٢٢٦) التي تؤكد منع دخول المشلولين والعميان والمشوّهين عامةً إلى الهيكل حتّى يوم شفاءهم.

وفي النهاية كان للهيكل دورٌ مميز جدًا، إذْ فيه وحده يتم غفران الخطايا للمؤمنين أفرادًا كانوا أم وجماعةً. في لا ٥:٢٠-٢٦ نقرأ عن طقوس التقدمة من أجل غفران خطية شخصيّة ويذكر لا ١٦ الاحتفالات الخاصّة بـــ ''يوم كيبور'' أو يوم التوبة والغفران لكلّ الشعب. كان الهيكل يتيح للمؤمن فرصةً ليطلب مسامحة الله وليعود بالتوبة إلى حياة جديدة مهداة بحسب الناموس.[٢٦] لذلك كان بين أيدي الكهنة سلطان المسامحة بين الله والبشر؛ الأمر الذي وضع اليهود غير الكهنة على درجة أدنى أمام العرش الإلهيّ. ليس عبثًا كانوا يسمّونهم بلهجة مستهينة ''شعب الأرض'' (*'ammê ha-'arets*).[٢٧]

---

[23] FERGUSON, E., *Backgrounds of Early Christianity*, Grand Rapids: Eerdmans, [2]1993, 530.

[24] SANDERS, E.P., *Judaism*, 237.

[25] "Mission", chap. 3 min. 18. See also the graphic in SANDERS, E.P., *Judaism*, 308-309.

[٢٦] راجع SANDERS, E.P., *Judaism*, 107-110; 270-275 بخصوص الفكر اللاهوتي اليهودي في أيام يسوع حول العقاب والعدل والرحمة.

[27] SANDERS, E.P., *Judaism*, 154.

٢. ٢. يسوع التاريخيّ والهيكل

استنادًا على إنجيل لوقا البشير يعتبر المؤرخون أن يسوع أخذ انطباعاته الأولى للهيكل عندما كان عمره ١٢ سنة. آتيًا من قرية متواضعة يُفترض أنّ يسوع تأثّر عند مشاهدته للجمال الهندسيّ والمباهاة الخاصّة بشكل هذه المؤسسة وحجمها البنائيّ. حسب جِيرْد تَيسِن (Gerd Theissen) كان يسوع ينتمي اجتماعيًّا إلى شعب ''الريف'' بالمقارنة مع شعب ''المدينة'' الذين عاشوا في أورشليم أو في سِفوريس عاصمة الجليل، مثلا، التي حسب الأناجيل لم يعمل يسوع فيها أبدًا.[٢٨] يعتقد الباحثون أنّ الهيكل ترك أثرًا على يسوع وأيقظ فيه تلك الغَيرة التي تشتعل في قلب المؤمنين عند زيارتهم للأماكن الرمزيّة لديانتهم وكم بالحري إذا ما شهد أنّ المسؤولين عن هذا المكان المقدّس كانوا يرتكبون مختلف المخالفات والأعمال الظالمة.

يتّفق المؤرخون ودارسو الكتاب المقدّس على أنّ يسوع كان يعلّم ويمارس انتقادًا جذريًّا على مؤسسة الهيكل الثاني. لم يكن يسوع وحده مَن يقدم هذه الانتقادات فأيضًا أتباع جماعة قمران وأنبياء آخرون كانوا يعبّرون عن رأيهم الانتقاديّ ضدّ بعض الممارسات في الهيكل.[٢٩] لنذكر مثلا خبر يسوع بن حنانيا الوارد في كتاب فلافيوس يوسيفوس (**الحروب** ٦:٣٠٠) والذي تنبأ بدمار الهيكل قبل محاصرة أورشليم من الرومان بقليل. أوّلاً قبضوا عليه وعاقبوه بمبادرة ''بعض وجهاء المدينة ''. ولكن، بعد إصراره على نشر الشؤم قرّر الحكّام في أورشليم (أي سلطة الهيكل) أن يرسلوه ليمثل أمام الحاكم الرومانيّ ألبينوس (٦٢-٦٥ م.) الذي اعتبره مختلاً عقليًّا وأطلق سراحه. في النهاية، قتلتْه ضربة حجرة أثناء حصار أورشليم.

كونه مركز السلطة كان الهيكل أيضًا مركزًا لاستغلال السلطة. ولأنّه بنظرة يسوع، كما هو بنظرة عامة المؤمنين اليهود، الله لا يكون إلا إلهًا حقًّا وعادلاً ورحيمًا، فالممارسات اليوميّة في الهيكل وخصوصًا قوانين حفظ الطهارة أدّت، على الأرجح، إلى إيقاظ الغَيرة في يسوع إلى حد أنّه بحث عن

---

[28] SANDERS, E.P., *La Figura histórica de Jesús*, Estella: Verbo Divino, 2000, 130.

[٢٩] ليس فقط وثيقة دمشق تحتوي على انتقادات كهذه، بل أيضًا فيلون الإسكندريّ في كتابه (*كل رجل صالح* ٧٥) يقول أنّ الأسانيين في فلسطين لم يقدموا ذبائح حية بل فضّلو''تقديس عقولهم'' (SANDERS, E.P., *Judaism*, 53). أضف إلى ذلك مزامير سليمان وكتاب الأقوال السيبليّة ٤ التي تبدي رأيًا سلبيًا في الهيكل.

إمكانية تغيير هذا الواقع المؤلم وجعْل الهيكل مكانًا مفتوحًا للجميع وخصوصًا للمحتاجين والمهمّشين والخطأة.

كافح يسوع هذه الهيكليّات المصنوعة من القوالب الجاهزة وقاومها بإصرار. كان يسوع صاحب رؤية من أجل إزالة الجمود السائد في القسم الأكبر من يهودية القرن الأوّل. وبهذا الموقف فتح معركة على السلطات اليهوديّة السياسيّة والدينيّة. طالما كان في الجليل كانت معركته تُعتبر ذات طابع ريفيّ، فبالنسبة للسلطة الدينيّة والسياسيّة، يسوع كان قائدًا لحركة ريفيّة وإقليميّة لا يشكّل خطرًا جديًّا على مراكزهم العلية. ولكن، عندما قرّر يسوع أن يوصل تبشيره إلى أورشليم وإلى المكان الأسمى فيها، أدخل نفسه في صراع مع السلطة في عُقْر دارها.

ثمّة أمثلة عديدة في إنجيل لوقا تُرينا يسوعَ مهتمًّا بإصلاح عادات الهيكل ومنتقدًا ممارسات رؤساء هذه المؤسسة. لنذكر مثلاً مشهد تطهير الأبرص في الجليل الوارد في لو ١٢:٥-١٤ حيث نقرأ انّ يسوع أرسل الرجل بعد شفاءه إلى الهيكل لكي تعرف السلطة أنّ التطهير حصل خارج إطار مؤسستهم. يأتي مثلُ السامريّ الشفوق أيضًا (لو ٢٥:١٠-٣٧) انتقادًا لسوء تفسير التوراة[٣٠] الذي أدّى بالكهنة واللاويّين (الفئتين المذكورتين في هذا المثل) إلى أن يتفادوا أي لمس لجثة لئلا يتنجّسوا.[٣١] أخيرًا وليس آخرًا يُذكر عمل يسوع التبشيريّ في الهيكل (لو ٤٧:١٩ – ٣٨:٢١). فمثل الكرّامين القتَلة (٩:٢٠-١٩) وخبر فلس الأرملة (١:٢١-٤) ونبوءات يسوع عن سقوط أورشليم (٢٠:٢١-٢٤) تشكّل أمثلة جليّة لانتقاده ممارسات ذاك المكان.

يؤكد المؤرخون أنّ النقطة التي جعلت الكيل يطفح كان المشهد المعروف بتطهير الهيكل.[٣٢] فيه يُسقط يسوع العوائق المرفوعة لردّ أي تأثير دنيويّ خارجيّ قد يؤدّي إلى مخالفة قوانين الطهارة[٣٣] وهكذا يفتح الأبواب لكلّ البشر وينزع عن الهيكل أي تبرير لوجوده، حسب المنطق الدينيّ اليهوديّ السائد

---

[30] LÖNING, K. , "Die Tora als Weg zum ewigen Leben nach Lk 10,25-37," in: Angenendt, A. / H. Vorgrimler, *Sie wandern von Kraft zu Kraft*. Festgabe für Bischof R. Lettmann, Münster: Butzon & Bercker, 1993, (49-71) 63.

[31] BOVON, *Évangile IIIb*, 88-89 and footnote 37.

[32] SANDERS, E.P., *Figura*, 91.

يدور نقاش عميق بين النقاد عما إذا كان هذا المشهد تطهيرًا للهيكل أم رمزًا نبويًا لدماره. راجع:

SANDERS, E.P., *Jesus and Judaism*, London: SCM Press, 1985, 61-76; MEIER, J.P., *Jew II*, 473 note 97.

[٣٣] كان دور الباعة في الهيكل تأمين حيوانات ونقود بلا عيب وتامّة بحسب القوانين الدينية.

آنذك. في النهاية كانت السلطة اليهوديّة المجتمعة في الهيكل وحوله الذين، بعد موافقة بيلاطس الضروريّة، حاكموا يسوع وعاقبوه بسبب عدوانه على هذا الحرم الدينيّ [٣٤].

كلمة ختاميّة حول السرد اللوقاويّ والدراسات التاريخيّة

لقد رسم لوقا في سرده الروائيّ موقف يسوع المشتدّ تجاه أورشليم. منذ الصِغَر يظهر الهيكل وأورشليم مرتبطَين بيسوع ارتباطًا وثيقًا مع أنّهما يبقيان على نزاع دائم مع شخصه. يصوّر لوقا شخصيّة يسوع كمَن يقدّر ويفهم مكانة الهيكل في التقاليد الدينيّة اليهوديّة ولذلك يريد أن يحلّ محلّه نظرًا لعدم إتمام وظيفته كمؤسسة دينيّة ونظرًا لوضعه الفاسد. أدرك لوقا تعليم يسوع القائل بأنّ الهيكل قد أتمّ دوره وهذا ما يطرحه بشدة في ترويته للأحداث التي تتصاعد شيئًا فشيئًا إلى أن يخبر في سفر أعمال الرسل أنّ التلاميذ ينزلون من أورشليم وينتشرون في كلّ المسكونة. فوفقًا لما علمه وعاشه يسوع، لم يعد تلاميذه بحاجة إلى الترسّخ في المدينة وهذا ما شدّد عليه لوقا في خطته السرديّة حول الهيكل.

في عمله الأدبّي يصور لوقا ركائز تعليم يسوع وأعماله. أسلوبه الروائيّ يتبع نموذج الأمثال الكتابيّة (في العبريّة: م ش ل ي م – edifying stories) التي تتجذر في خبرات بشريّة وأحداث تاريخيّة. حقًّا أنّ لوقا شاعرٌ بالمعنى اليونانيّ للكلمة *poietes* التي تعني صانعًا أو خالقًا لأنّه يخلق في سرده الروائيّ نسيجًا خاصًّا للحقيقة ويدوّن قراءته المبدِعة للوقائع التي يراها على ضوء الإعلان الإلهيّ المسلَّم إلينا بواسطة موسى والأنبياء ويسوع الناصريّ. يقصّ لوقا علينا نظرته للعالم (Weltanschauung) التي لا تبعد أبدًا عن النظرة التي يعلّمها باقي الأسفار الكتابيّة في العهدين بخصوص البشر وعلاقتهم بالله.

إنّها لفرضيّة علميّة خاطئة أن يحاول المرء إعادة تأليف ''الأخبار الحقيقيّة'' حول يسوع أو حول أي شخصيّة تاريخيّة أخرى وهذا ما برهنته الروايات الليبيراليّة المنشورة بغاية إخبار ''سيرة حياة يسوع التاريخيّة'' في القرنين الثامن والتاسع عشر والتي قدّمت في صفحاتها أوجهًا ليسوع تستند أوّلاً على المذاهب الفلسفيّة والأخلاقيّة الخاصّة بالمؤلفين وليس على أي اكتشاف جديد في فكر يسوع وأعماله.

[34] SANDERS, *Figura*, 293-297.

أخيرًا يشار إلى أنّ علم اللاهوت لا ينفصل عن علم التاريخ لأن الله يعتلن في الزمن والمكان وفيهما يبني علاقةً مع البشر. لذلك يجب أن يستمرّ البحث التاريخيّ خصوصًا إذا ما اعتبرنا أنّه بقي الكثير من الأسئلة دون جواب. ولكن يجب علينا، نحن اللاهوتيّين، ألا ننسى أنّ الكتاب المقدّس يعرِّف عن نفسه كالاعلان الالهيّ الختاميّ وأنّ دراسة العهد الجديد لا تقتصر على التعمّق في الوجه التاريخيّ الأكثر أصالة ليسوع الناصريّ والأكثر انسجامًا مع المناهج الحديثة لعلم التاريخ وتدوينه. لا بل على اللاهوتيّ أن يتذكر أنّ مادة دراسته هو الكتاب المقدّس بكافّة أسفاره وألا يكتفي بدراسة شخصيّة تاريخيّة واحدة اسمها يسوع فحسب.

النصّ البيبليّ لا يقتصر على تبليغ الخبر المعلَن من الله، بل إنّه يحتوي أيضًا على الشهادة التي أدّاها الرسول لهذا الخبر الإلهيّ. فيأتي الاعلان والشهادة في النصّ الإنجيليّ كوجهين لحقيقة واحدة. من هنا يصعب اعتبار الانجيل محضرًا مجرّدًا يكتفي بإخبار حياة يسوع الأرضيّة على نحو المحاضر التاريخيّة الحديثة. بل بالعكس، العهد الجديد يخاطب الإنسان بكامله ولا يقصد أن يجيب بدقة علميّة على أسئلة المؤرخ المعاصر. لذلك يتطلب العهد الجديد بحثًا متعدد الاختصاصات وحوارًا مفتوحًا مع كلّ العلوم الإنسانيّة لا سيما مع الألسنية والنقد الأدبيّ إلى جانب التاريخ وعلم الآثار وعلم الاجتماع.

في الختام لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأناجيل تتميّز بكونها مصدر الدراسة اللاهوتيّة وغايتها على حد سواء، وفي إطار هذه الجدلية يتحرك الباحث اللاهوتيّ دون أن ينسى المكانة الرُكنيّة التي تشغل هذه الأعمال في الإطار الكنسيّ.